المقدمة

يحتلّ الفكر السياسي مرتبة مهمّة بالنسبة لمعظم فروع العلوم الإنسانيّة ومن ضمنها العلوم السياسيّة، إذ تعتبر هذه المادة من الركائز الأساسيّة التي تقوم عليها الدراسات السياسيّة.

*** <u>أهميّة دراسة الفكر السياسي</u>**

تساهم دراسة الفكر السياسي في فهم وتحليل السياسة والسياسي (Le politique et la politique) بشكل عام، إذ لا يمكننا أن نفهم الواقع السياسي الحالي ما لم نطلع على أهمّ المؤلفات السياسيّة التي "عبدت طريق الإنسانيّة" كما قال جاميس بوديه (James Bodet) أمين عام الـ (UNESCO) عام ١٩٥٢، وأضاف "... إن التعمّق في دراسة الفكر السياسي والإحاطة بموضوعيّة بكل جوانب النظريات السياسيّة يشكّل الركيزة الأساسيّة التي تستند إليها الجهود الراغبة في تطوير علم السياسة وجعله علماً يقوم على المراقبة وهدفه الحقيقة السياسيّة المعاصرة وليس الفلسفة". أي بمعنى آخر إن دراسة الفكر السياسي تساعدنا على فهم الواقع وتحليله والابتعاد عن الفلسفة والمثاليات .

*** <u>ولكن ما هو تعريف مادة الفكر السياسي الحديث؟ وما هي الأسس التي تقوم عليها؟.</u>**

قبل البدء في عرض محتوى المادة، لا بدّ لنا من تعريف المفاهيم واظهار التمييز الإبستيمولوجي بين مفهومين هما "تطوّر الفكر" و"تاريخ الفكر". فمادة الفكر السياسي الحديث تهدف إلى دراسة الفكر السياسي، وذلك عبر "الإطلاع على أهّم المراحل التي ساهمت في تطوير الفكر الإنساني المرتبط عضوياً بالسياسة". وللوصول الى هذه الغاية نعتمد منهجيّة دراسة أهمّ المحطات الفلسفيّة التي ساهمت في عمليّة التطوّر مرتكزين بشكل أساسي في الدراسة على النظريات والإيديولوجيات.

أمّا كلمة ايديولوجيّة فهي تعني "اصدار حكم على الوقائع واقتراح حلول تكون منزلة" أي بمعنى آخر عمليّة إسقاط صورة عن المجتمع على الواقع ليست موجودة إلاّ في خيال الكاتب. أمّا النظريّة، فهي أكثر موضوعيّة

إذ "تعني تنسيق مشاهدات ووقائع ومعالجتها وشرحها بأسلوب موضوعي"[1]. فدراسة مراحل تطوّر الفكر تميل أكثر الى معالجة الأفكار والمقاربات التي ساهمت في وضع النظريات والإيديولوجيات.

أمّا تاريخ الفكر فهو يعرض "الأفكار والنظريات في إطار جدولة زمنيّة تظهر مراحل نضج الفكر الحديث والعوامل الإجتماعيّة والإقتصاديّة والسياسيّة التي ساهمت في تكوينها".

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ترتبط كلمة "الفكر" ارتباطاًعضوياً بكلمة "السياسي" أو "السياسة". وتحمل هذه الكلمة عدّة معانٍ، إذ تعني المدينة (Polis) وقضايا المدنيّة أي المسائل العامة (chose publique) وتعني أيضاً الدولة (ta politica). إن هذا المزج بين المدينة والدولة جعل تعريف "علم السياسيّة" مسألة شائكة وصعبة، وقد سعى كبار الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو الى تعريف مصطلح "السياسة"، غير أنهم عجزوا عن اعطائه تعريفاً واضحاً ونهائياً. واليوم يحاول الباحثون في علم السياسة تعريف هذا الفرع، فقد عرّف بعض المفكرين علم السياسة بدراسة الأفكار ذات الصلة بالدولة والحكم[2]، بينما اعتبر البعض الآخر، لا سيّما ماكس ويبر (Max Weber)، أن علم السياسة هو علم السلطة في شكل عام... ولكن مهما تكن التعريفات التي سعت الى وصف السياسة، فإن هذه التعريفات تدرس الدولة كمجتمع سياسي وكحكم.

وفي محاضراتنا هذه، انطلقنا من تعريف "ريمون أرون" (Raymond Aron) الذي صاغه في كتابه الديموقراطيّة والتوتاليتاريّة (الشموليّة)، حيث اعتبر أن "السياسة" هي في الوقت عينه "نشاط (action) أو "مشروع نشاط".. وتتواجه الأنشطة في مجال متخصّص وتتقاتل فيفوز أحدها ويطبق [في شكل نظام سياسي]. ويرتبط "مشروع النشاط" بأنماط المجتمع المنبثق عنه، وبالشروط التي تحكّمت باختيار هذا المشروع أو ذاك، وكيفيّة تطبيقه وأهدافه كما حدّدها المجتمع"[3].

* **<u>لماذا يُدرّس الفكر السياسي؟</u>** (أهميّة الدراسة).

تُدرّس مادة الفكر السياسي لأن السياسة تتدخّل في مختلف جوانب الحياة: الأغاني، المسرح، الفن، العلاقات الأسريّة، التعليم، التجارة...

والحقيقة، إن السياسة مرتبطة بكل مظاهر الحياة الإنسانيّة، وقد تجلّى هذا الإرتباط في خلفيّة الباحثين السياسيين الثقافيّة، إذ تُظهر الأدبيات المنشورة في هذا العلم تنوّع المنابع الثقافيّة واختصاصات الذين كتبوا في السياسة، وكان لهم إضافات في علم السياسة. ونلاحظ أن معظم الذين كتبوا في السياسة كانت لهم

[1] Marcel Prélot, Histoire des Idées Politiques, 13 ème edition, Dalloz, Paris, Introduction.
[2] Dimitri Georges Lavroff, Les grandes étapes de la pensée politique, Dalloz, Paris, 1993, Introduction.
[3] Raymond Aron, dans lavroff, p. 2

اهتمامات أخرى، فمكيافيل كان مستشاراً، وروسو وفولتير كانا كاتبين وشاعرين، وتوما الأكويني كان أسقفاً وباحثاً في العلوم الإنسانيّة، ولكن جميعهم جعلوا الإنسان في قلب اهتماماتهم، فسعوا الى تحسين أساليب حياته.

*** <u>ماذا ندرس في الفكر السياسي؟</u>**

يدرس الفكر السياسي الإيديولوجيات والنظريات السياسيّة، أي المفاهيم الفكريّة التي قامت على أساسها الدولة وارتكزت عليها لتنظيم مؤسساتها وطرق عملها وكيفيّة انتقال السلطة السياسيّة. فالفكر السياسي تمتدّ جذوره في القانون الطبيعي والعقلاني وفي الوقت عينه، يشكّل جزءاً من المثالية.

والواقع، إن مقاربة هذه المواضيع تتمّ من خلال دراسة المراحل والمحطات التي مرّ بها الفكر الإنساني. فدراسة الفكر السياسي مرتبطة عضوياً بدراسة المراحل التي ساهمت في بناء المعرفة السياسيّة، أي بمعنى دراسة حركة التحليل السياسي وتطوّره، وأهمّ العقبات أو المراحل التي مرّ بها هذا التحليل.

وعبارة "المراحل " (Etapes) هنا لا تعني "محطة" (Jalon) أو "علاقة" كوّنت الفكر السياسي وكأنها طريق تربط "نقطة البداية بنقطة النهاية"، كما كتب (Lavroff) ولكنها "نهاية فترة وبداية فترة أخرى"[4]، هكذا يصبح الفكر السياسي وكأنه حركة بدأت منذ عدّة قرون، طُبعت بأحداث مهمّة أوحت لبعض المفكرين بكتابات لا تزال خالدة حتى يومنا هذا.

والواقع إن الفكر السياسي قد مرّ بمراحل عديدة منذ قيام دولة أثينا والامبرطورية الرومانية وتحوّل الغرب نحو المسيحية. فقد لعبت القرون الوسطى، وما شهدته من ممارسات على كل المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية دوراً مهماً في حثّ المفكرين والفلاسفة على طرح تساؤلات جريئة حول الانسان والكون والسلطة السياسية. هذه التساؤلات ساهمت في اطلاق تحولات جذرية في مفهوم السلطة وعلاقة الفرد بها.

* فما هي العوامل والتحولات الإجتماعيّة والسياسيّة التي ساهمت في إحداث تحوّل في الفكر السياسي؟.

* ما هي أبرز الأفكار الفلسفيّة التي ميّزت عصر النهضة، وأدّت الى إطلاق مبادىء جديدة قامت عليها الدولة الحديثة؟.

* ما هي أهّم المحطات في هذه التحولات؟ من هم أبرز المفكرين الذين ساهموا في تطوير الفكر السياسي؟.

للرّد على هذه الأسئلة (الإشكاليات) سوف نعرض في لمحة سريعة لواقع الفكر السياسي في القرون الوسطى وما كان يعانيه من انحطاط وصولاً الى عصر النهضة، واستمرار الصراع بين السلطتين الزمنيّة والدينيّة

[4] Lavroff, Op. Cit., Introduction.

حول سلطة الملك وقدسيّته، وتغلّب السلطة الزمنيّة على الدينيّة. كذلك التطورات الإقتصاديّة والإجتماعيّة التي حصلت بفعل نشوء الطبقة البرجوازيّة والأفكار الجديدة التي طرحتها وانعكاساتها على المجتمع والفكر السياسي.

ولتحقيق هذه الغاية سوف نعرض لأهمّ المفكّرين الذين طبعوا الفكر السياسي المعاصر، بدءاً بمكيافيللي في عصر النهضة، والإضافات التي قدمها فلاسفة كبار أمثال: هوبس ولوك في القرن السابع عشر، الذين أسسوا مفهوم الديموقراطيّة الليبراليّة لدحض مفهوم السلطة المطلقة، واعتماد النقد الفعلي لمحاربة كل ما من شأنه الحدّ من الحريّة الشخصيّة والفرديّة، كما مع روسو وما قدّمته الثورة الفرنسيّة من أفكار جديدة حول المواطن والشرعيّة والديموقراطيّة والعلمنة التي تشكّل المقومات الفلسفيّة للدولة الحديثة. وسنسعى الى دراسة تداعيات هذه التحولات على الفكر في القرن التاسع عشر وما أدّت إليه من إيديولوجيات كالشيوعيّة التي طبعت الى جانب الرأسماليّة الملامح الفكريّة والفلسفيّة للقرن العشرين، حيث سيشكّل كل مفكّر فصلاً قائماً بذاته.